* التطبيق الرابع والخامس

رحلة ابن فضلان البناء والتجنيس [لابد من قراءة الرحلة أو مقاطع منها]

- هي رحلة سفارية (دبلوماسية / دينية) انتدب فيها ابن فضلان لمهمة دينية سامية في بلاد غير إسلامية، استجابة لرسالة من ملك الصقالبة إلى الخليفة المقتدر، يطلب أن يرسل إليه من يفقهه في الدين ويشرح تعاليمه، ويساعده في بناء مسجد وإعلاء منبر للدعوة والتحصين من المخالفين. واستمرت أحد عشر شهرا ذهابا.
- ليست رحلة فردية، فيحكم المهمة الرسمية رافقه ثلاثة آخرون: سوسن الرسي / تكين التركي / يارس الصقلابي)، تكفل ابن فضلان بقراءة الكتاب وتسليم الهدايا والإشراف على المعلمين والفقهاء.
- لأنها رحلة سفارية اتسمت بسرد العبور والوصول دون الإياب، فجاء النص في شكل نصف دائري.
- هي بمثابة تقرير عن (مهمة) سفارة، اتسم بسرد آراء ومعلومات وتعليقات تخص الآخر.
- جاء السرد خطيا، يخبر عن كل ما تعلق بهذه المهمة وما صاحبها من أحداث، وتقريريا بعيدا عن البوح والاعتراف والمبين، لأنه موجه رأسا إلى الخليفة.
- جمع الخطاب الرحلي بين الحكي والتاريخ، وبينهما حوارات وسرود وأوصاف، حققت الكثير من الإبداعية والإمتاع برغم الطابع الرسمي.
- كما اعتمد فيه على الانتقائية، فهو لا يدون كل المشاهد، ولا كل الحوارات التي اعتمد فيها على الترجمان.
- جاءت محطات العبور فيه شحيحة وبعيدة عن الأسلوب الجغرافي المعهود في وصف المسالك والممالك بدقة فائقة، فقد ركز ابن فضلان على وصف مشاق الرحلة ومكابداتها مع الطبيعة غير المألوفة ومفاجآت دروبها الوعرة.
- اعتمد الوصف على الرؤية والمشاهدة اليقينية، فلم يدون إلا ما رآه وسمعه بنفسه، مما يعطي النص مصداقية.
- يسرد الرحالة وقائع حدثت له ولمرافقيه في انتقالاتهم، انتظمت في حكايات من مسار العبور، وأخرى من بلاد الصقالبة، مما أكسب أخباره

تنوعا وانتقالا بين العام والخاص، وبين الأنا والآخر، وبخاصة مشاهد البرد الشديد وغير المألوف بالنسبة له (الثلج/التقلبات الجوية/البرد...)

- نسرد المهمة التي كانت سببا في هذه الرحلة وهي تعليم البلغار أمور الدين.

- أما مرجعياته في الرحلة فآتية لا تستند على مؤرخين أو جغرافيين أو أعلام محددين صادفهم الرحالة، فهو يحيل دائما على العائب النكرة (ولقد بلغني/وسمعتهم يقولون/...) ليصبح ابن فضلان نفسه وأخبار رحلته هذه المصدر الوحيد عن تلك البلاد آنذاك.

- بالرغم من كونه السارد الوحيد والمنشئ الحقيقي للرحلة، فإن ضمير المتكلم (السارد) فيها غير ثابت، فهو يتراوح بين صيغة المفرد المتكلم وصيغة جمع المتكلمين، فهو يشرك مرافقيه في هذه الرحلة الدبلوماسية الدينية، ويحكم قانون الجماعة في توجيه الخطاب الرحلي، فتطفو الأنا داخل النحن للاستئناس في مرحلة العبور، ويبرز ضمير المتكلم المفرد في بخارا ويرتبط بالمشاهدات هناك ووصف تفاصيلها.

- وحيث اختلاف الألسن (العربية/التركية/الروسية/...) تصبح ترجمية المترجم هنا ضرورية، فهي الوسط بين الرحالة والبيئة المستقبلة (الأنا والآخر).

- تحضر في خطاب ما بعد الوصول خاصة ثنائية الأنا والآخر، وتتجلى مساحة الهوة بينهما، فبينهما اختلافات جذرية جوهرية تقوم على ثنائية الأنا المسلمة/والآخر الكافر (غير المسلم)، فروق في العادات والتقاليد والآداب (الملبس/المأكل/طقوس الزواج/الأفراح/الأحزان/عدم احتشام الآخر وتوحشه...). ويعلل الرحالة تلك العيوب والفروقات بالكفر، وفي المقابل يظهر الذات العربية المسلمة متفوقة على الآخرين.

- يرتكز اهتمامه بالآخر بصورة ملفتة على سرد غير المألوف والغرائبي في حياته وسلوكه وطقوسه وبيئته (بلاد الترك/الخزر/الصقالبة/الروس).

- حرص ابن فضلان على تقييد أسماء الأماكن (البلدان/القرى/القبائل/الرباطات/المنازل/المفازات/الأنهار/...).